

## كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١. القرآن العظيم هو الرسالة الالهية العظمى التي مَنَ بها الرَّبُّ الْجَلِيلُ عَلَى النَّاسِ وَأَذْنَ لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهَا وَيَطْهُرُوا أَرْوَاحَهُمْ بِزَلَالِ مَائِهَا الْجَارِيِّ.. وَيَطْهِرُوهُمْ بِهَا إِلَى سَمَاءِ مَعْرُفَتِهِ.

وهذه هي الرسالة الجليلة السماوية التي عَبَرَ عنها بال بصيرة والهدى والتبيان والنور والشفاء والبرهان والحكمة والذكر والفرقان ونظائر هذه العناوين؛ ليعلم الجميع بأَنَّهُمْ لَيْسُ لَهُمْ غَيْرَ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ للنجاة من أشكال التعلق والتشتت بفخاخ الدنيا..

٢. كيف نعرف القرآن؟ على حد تعبير أحد أكبر عارفي القرآن المعاصرین؛ ينبغي أن نرد حياض الكتاب من طرق ثلاثة:

١

أ: الله جل جلاله؛ الذي أرسل هذا الستفر التفيس؛ قال سماحته في ذلك:

«لا يمكن تعريف القرآن إلا من صاحب القرآن، فهو الذي يعرف كتابه لغيره. وإن المرجع في أن نعرف موضوعاً ما؛ متشعبً ثلاث شعب ولا رابع فيها أو لها.. المقام الألوهية.. فالله تعالى قد نزل أحسن الحديث.. وهذا هو القرآن بتعريف الله.. فتكون النتيجة: أن القرآن مهمٌّ على حديث جميع الملائكة المقربين.. وكذا هو حديث جميع الأنبياء والمرسلين.. لماذا؟ لقوله المطلق: أحسن الحديث...»

ب: الطريق الثاني؛ الرجوع إلى النبي المخاطب المباشر بالوحى الإلهي.. وقد نزلت هذه الحقيقة الالهية الكبرى والسامية على قلب هذا النبي المقدس الجليل.. قال - دام ظله -:

«الْمَرْفُوُفُ الثَّانِي؛ الشَّخْصُ الْأَوَّلُ فِي الْعَالَمِ.. وَهُوَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ؛ الَّذِي لَا يَتَرَلِلُ قَلْبَهُ [ولو] تَهَدَّمَ

---

١. نقل الأقوال المبكرة بالفأرزة؛ هي تعريب مقاطع من عبارات الفقيه الكبير الشیخ الوحید الخراسانی - دام ظله - و من مجالس درسه الأولى إلى الرابع في تفسير القرآن سنة ١٤٢٩ قمرية.

العالم.. فإذا ما قع ناقوس الخطر؛ كان ذلك مدعاة إلى التأكيد من عظيم أهمية الأمر.. ثم مدى أهمية دفع ذلك الخطر.. وهو قد أعلن عن فادح خطر قادم.. إذ قال [صلى الله عليه و آله]: ستكون بعدي فتن في هذه الأمة.. فقيل: و ما السبيل إلى ذلك؟.. فقال: كتاب الله العزيز.. ح: الطريق الثالث؛ الرجوع إلى توجيهات و كلمات رجل عظيم، و صفتة تصاريح الفريقين أنه الأكثر إحاطة بالقرآن، كما تشهد بذلك الكتب و الوثائق المدونة المتوفّة:

«لوصي النبي الخاتم.. أمير المؤمنين<sup>7</sup> خطبة في نجح البلاغة بصدق تعريف القرآن أورد فيها حوالي (٢٢) عنواناً [منها]: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً.. وبحراً لا يدرك». والصيغة هنا صيغة مجهول في موضوع البحر.. وإن وصف القرآن بالبحر ينطوي على بحث مهم.. ثم النقطة الثانية، كون قعر هذا البحر؛ لا يدرك.. فهو كتاب «فيه تبيان كل شيء».. فإذا ما فهمت هذه النقطة، فهمت كلام الأمير الذي هو أمير الكلام.. «إله لقرآن كريم» و إذ يقول تعالى بأن هذا القرآن كتاب كريم، ينبغي أن يفهم ما هو هذا الكرم الذي في القرآن.. «في كتاب مكون» مستور عن كلخلق، لأن ما كشف لنا في هذا الكتاب ليس سوى شعاع؛ أو بليل من بحر عميق زحّار.. «لا يمْسُّه إلا المطهرون» فينبغي التطهير في الرجل ثم تمس الفاظه.. غير أن مس المعنى ما هو مبرر؟ هنا لا تتجه مراتب الطهير والتطهير [وطبقاً للحديث الصحيح على مباني الفريقين] قالت أم سلمة: سمعت رسول الله يقول: «علي مع القرآن؛ والقرآن مع علي.. لن يفترقا حتى يردا على الحوض...» إن ما ورد في هذا الحديث النبوي محير للعقل.. إذ المعية لعنوانين الذات إضافة، و ذكر جهة تغنى عن الجهة الأخرى.. وفي عنوان ذات الإضافة هذا، كان كافياً أن تدرج تلك الجهة، ولكن في هذا التصريح النبوي أدرجت دقائق، حيث عاد النبي كرهاً أخرى وقال: والقرآن مع علي.. فرسم قوله الكريم هذا دائرة قدسيةً ووضع القرآن في وسطها، وجعل عليها محيطاً لهذه الدائرة.. فقال: علي مع.. ثم ختم بالقول:... مع علي.. في ما جعل القرآن وسطاً في هذه الدائرة.. و إذا كان الأمر - كما وصف القرآن بأن «له ظهر و بطن» و بأن «له تغُورٌ وعلى تغُوره تغُور» و أن في هذه البطون «تبيان كل شيء» فيا ترى من هو الذي مع تمام القرآن و تمام القرآن معه غير علي بن أبي طالب؟»<sup>8</sup> ٣. تتجدد هنيةً عما كان (ينبغي أن يكون) ونعود إلى (الذي كان)؛ فننظر إلى التاريخ.. نرى كتاباً

١. انظر: نجح البلاغة: شرح فضي الإسلام، الخطبة ١٨٩، ص ٦٤١.

سماوياً معزولاً عن مواقفه.. احترموا في الظاهر الكتاب الصامت، متဂاھلین الكتاب الناطق.. وفي هذا الصدد. أقيمت جميع التصریحات والتأکیدات للرسول الأمین - و هو الذي جاء بالكتاب المبین- في طی النسیان. وصار الذي صار..

ولكن ماذا عن مصير القرآن ودوره؟ «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى القرآن» [ابراهیم/١] فإخراج الناس.. يعني كل الناس.. (العالم والعامي وی جميع الأرمنة والأمکنة) من الظلمات (جميع الظلمات؛ وی كل زمان و مكان.. وكل الظلمات أشكال خاصة) إلى النور...

ولكن هذا الهدف بخصوص القرآن لم يتحقق في موارد كثيرة.. ووقع الاختلاف في تفسیره.. وصار «تبیینه» أرضية و مشکلة حتى تحول هذا التبیان المراد إلى «ظلمات» بفعل الذين تناسوا حقيقة القرآن و مرافقه الدائم.. إلى الحد الذي لم يرده الآتی بالقرآن أبداً.. و يمكن التعبیر بـ «الفتن من بعدی» للإشارة إلى احتلاق هذه الظلمات والفرقـة..

٤. لماذا صار الذي صار؟! قد عد الله عزوجل في القرآن العظيم مصدر الاختلاف والفرقـة "بغیاً بعد علم".."فَمَا اخْتَلَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ" [الجاثیة/١٧].

هناك أوجه تفاوت بسيط وجزئي ناشئ عن الجهل.. أما الاختلاف المستديم والعميق فيحصل بعد العلم، فيخطط له الخائضون فيه بشكل دقيق وواضح، ثم ينهمكون فيه و ينفلونه.. يؤید ذلك التغییرات الاجتماعية والنظر فيها بواقعیة.. وهذا الأصل كان القرآن الكريم قد بینه.. فماذا إذن؛ عن زرع الاختلاف المتعبد؟ الإجابة على هذا السؤال تتطلب بحثاً ودراسة أخرى، أمّا إذا عدنا إلى بحثنا، وجدنا أنّ البغی (التمرد والتجاوز على حقوق الآخرين) في الأمة أدى إلى حصول ظلم كبير؛ وهو على شاکلتين: ظلم لكتاب الله تعالى.. وظلم لذلک الرجل العظيم الذي وصفه خاتم الأنبياء بكونه ملازماً وقربيناً للكتاب السماوی وعرفه. و من المجدیر هنا؛ أن ننظر بوعی أكثر وأعمق - وإن كان إجمالیاً- إلى بعض نقاط هذین الظلمین العظیمین الكبیرین.

٥. كيف ظلم كتاب الله تعالى؟

(كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) [ابراهیم/١]

حين جاء هكذا كتاب، فقدم عليه كتاب زید و عمرو.. فإنّ في ذلك ظلم للكتاب السماء، أليس كذلك؟! وحين حصل هذا... (يضل الله الظالمین ويفعل الله ما يشاء) [ابراهیم/٢٧] وحاصل وعي هذه العبارة هو لزوم تقديم القرآن المجید على كل كتاب.. والظلم في هذا الصدد؛ هو [اعتبار]

كتاب فلان وفلان ميزاناً يقاس القرآن وفُقهه.. إن هذا هو الظلم بعينه.. فيما العدل [اعتبار] القرآن مقاييساً ومعياراً، تقاس آراء الناس وأفكارهم بالبناء عليه. فإن صار الحال حال الصورة الأولى: (فما له من نور) (النور/٤٠) وأن تكست الصورة الثانية: (لنهدى بهم سبّلنا) (العنكبوت/٦٩).

ويمكن تلمس هذه الحقيقة المؤكدة في كلمات أهل بيت النور: «من ابْغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ؛ أَضْلَلَهُ» [تفسير العياشي، ج ١، ص ٦].

وهكذا يمكن إدراك تفسير واضح لهذا الكلام الإلهي والمنطقي القائل: (يُضَلَّ مَن يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) [النحل/٩٣؛ فاطر/٨].

والأسف كلّ الأسف على أنّ استدبار بيان العترة الطاهرة للكتاب الذي لا يمسه إلّا المطهرون، قد انتج الكثير من حالات الفهم الخاطئ والمنحرف للقرآن العظيم.

٦. وأمّا الظلم بتالي الكتاب [الإمام الموصوم] وهو الوجه الآخر لظلم الكتاب؛ ثُرٌى من يجهل شأن الإمام أمير المؤمنين<sup>٧</sup> و مقامه السامي والأسمى في حفظ و ترويج و تبيين و تفسير القرآن الحميد.. ومن لا يعرف دوره الأول في حلّ هذا الإمام المهام المعضلات و الردّ على الشبهات بصدقه؟ إنّ كثرة و تواتر الشواهد المتوفرة في كتب الفريقين تُغْنِيَا عن الحاجة إلى تفصيل هذه المقوله... ولكن السؤال الأصل هنا هو: كيف تم التعامل مع مبين كتاب؟ وأهمية هذا السؤال تدرك في وقت نصل فيه إلى قوله عزوجل: (يُضَلَّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضَلُّ بِهِ إلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة/٢٦].

الإجابة الجملة قد وردت في آخر هذه الآية؛

وإضاح ذلك، أنّ إضلال الله، بمعنى خذلانه، إنما يرد بعد بيان الحكمات العقلية و تفتح العقل.. حين يكفر الإنسان - بمعنى الكفران للنعم- بعوامل وأسباب التوفيق الربّيّ باختياره و علمه.. فيسلب الله تعالى بعده منه التوفيق، ثم يكله إلى نفسه بعد إتمام الحجّة الدافعة عليه. وهذا الإضلال - بمعنى المذكور - ردّ فعل على الاختيار السيئ للإنسان، أو ما أطلق عليه القرآن الحكيم: «الفسق».. ونعود مرة أخرى إلى الآيات:

١. لنقرب المعنى يمكن أن يُقلّ بعلم شقيق ناضج يلقي دروسه طيلة العام المارسي إلى تلاميذه .. و من بينهم طلاب ذوو سلوك و حرص مطلوب.. وطلاب آخرون ينكرون عن الدراسة ويؤذنون معلّمهم.. الذي يواصل جهده الطيب تجاه جميع طلابه.. فإذا ما واجد طلاب من الفريق الأول و الثاني مشكلة في يوم الامتحان، كان نسياً بعض الطالب.. فلاريب أن المعلم سيساعد الطالب الأول بداعي حرصه و سلوكه الطيب وأدبه الرفيع.. بما لا يساعد الطالب الثاني، وفي النقافة الدینية تسعى هذه المساعدة توفيقاً وهدىه.. كما يسعى عدم المساعدة خذلاناً وأضلالاً.. والمهم هو أنّ آياً من هذين الموقفين الصادرين عن الله تعالى لا يُعدُّ ظلماً.. إذ الموقف الأول فضلٌ والثاني عدل.. وهذا ما تأثّست عليه مفاهيم بعض الأدعيّة التي يطلب فيها في الماري سبحانه المعاملة بالفضل لا بالعدل..

(فلِمَا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصفة/٥].

(وَلِئَكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا) [الأنعام/٧٠].

فإذا ما اختار الإنسان المهدية و تقبلها، فإنه تعالى سيزيده هدى (والذين اهتدوا زادهم هدى)  
[محمد/١٧]

٧. من أهم عوامل الفسق؛ الظلم لآخرين؛ يقول سماحته:

« فعل الله بدءاً هو المهدية.. ولكن حين تنتَل هذه المهدية فتظلم.. فإن جراء الظلم إذ ذاك؛  
الإضلال.. وكل ظلم يتناسب وجزاؤه، لأنَّ النَّظام نَظَام حَكْمَة.. ونَصْعَدُ المَوازِينَ الْقَسْطَ.. والسماء  
رفعها ووضع الميزان. و خاصيَّة الْظُّلْمِ هي أَنَّ الشَّهِيدَ الَّذِي يُقْتَلُ فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ، فَإِنْ ذَنْبُهُ كُلُّهَا  
تُغْسِلُ لَدْنِي أَوْلَ قَطْرَةً تَسْقُطُ فِي دَمِهِ؛ إِلَّا ذَنْبًاً وَاحِدًا؛ وَهُوَ ظُلْمُ النَّاسِ وَالْتَّجَازُ عَلَى حُقُوقِهِمْ...»  
حين يكون الظلم عظيماً إذا ما توجه إلى شيءٍ من مال الناس، فإنَّ دم الشهيد حتى - مع كلّ  
جلاله - لن يغسل، فكيف بحال الظلم المتوجه إلى القرآن العظيم؟ حينذاك؛ سيعذب هذا الظلم  
الكبير، إذا ما تسمى باسم تفسير القرآن - أي لدى التبرير لهذا الظلم بظواهر بعض ألفاظ كتاب  
الله. و لم يصب هذا الظلم المضاعف طيلة السنين والقرون أهل بيت النبي عليهم الصلاة والسلام  
فحسب، وإنما طال جميع أجيال الأمة المسلمة؛ بل وجميع البشرية.. هذا الظلم الذي ينتهي إلى محو  
كتاب الله تعالى - على حد عبارة الإمام السجّاد<sup>7</sup>، إذ قال في دعائه الشريف في دعائه في يوم  
عمره مخاطباً ربَّه الجليل: «و لا تجعلني للظالمين ظهيراً ولا لهم على محو كتابك يداً ونصيراً» [الصحيفة  
السجّادية/ الدعاء/ ٤٧]

٨. الناس على موعد ليشهدوا يوماً هروب غيلان الظلم تحت مظلة طائر العدالة الموعود.. الذي  
سيزيح أشكال الظلم بنور العدل، لا سيما ذلك الظلم المتوجه إلى أعظم عباد الله تعالى.. النبي  
وآل بيته الطاهرين:..

و كذلك في ذلك اليوم سينصب الإمام الموعود - عجل الله تعالى ظهوره المبارك - خياماً يعلم  
فيها القرآن (الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨٦).

و ذلك الإمام الفدّ سيُعيد الناس إلى (الهوى الإلهي) كما مالوا من قبل إلى هوى النفس

[نحو البلاغة، الخطبة ١٣٨] كما كان الرسول الخاتم منهمكاً في تعليم كتاب الله [الجمعة/٢] و تبيينه [النحل/٤٤] ويفتح للبشرية صفحة جديدة من كتاب الحياة.. لم تكن قد رأها من قبل، ولم تكن الآذان قد سمعت بمثل محتواها من قبل.. و نحن مدونا نواظرنا إلى فجره المشرق.. أليس الصبح بقريب؟

---

١. قال سيد الأوصياء في وصفه فعل خاتم الأوصياء<sup>٨</sup>: «يُطعَّفُ الْهُوَى عَلَى الْهُدَى؛ إِذَا عَطَّافُوا الْهُدَى عَلَى الْهُوَى، وَيُطعَّفُ الرَّأْيُ عَلَى الْقُرْآنِ؛ إِذَا عَطَّافُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ»...
٢. لا شك في خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله فيها يعلق بتبيين القرآن بواجه أنساً لم يكن لهم أدنى عالم بكتاب الله. ولكن خاتم الأوصياء<sup>٧</sup> سيواجه أفراداً وجماعات قد نجحوا في أذهانهم صوراً خاطئة عن حقائق القرآن.. ولكن أصل المقتني واحد، وذلك أن الظهور امتداد للبعثة وحقق لأهدافها وغاياتها.